مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديميةISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2021 المجلد: 04 العدد: 02 عدد خاص ص.ص: 523-544

المعنى بين الاستعمال الحقيقي والاستعمال الاستعاري للغة معجم أساس البلاغة للزمخشري في ضوء علم اللغة الحديث "دراسة في المعجم والدلالة"

The meaning between real and metaphorical use of language A dictionary «Asās al-Balāghah,» by «Zûmakheharï» in the light of modern linguistics - An approach to lexicon and semantics-

سميرة حمادي ، جامعة باتنة 01 (الجزائر)samira2020hamadi@yahoo.com

تاريخ إرسال المقال: : 15-08-2021 .تاريخ قبول المقال: 06-10-2021

الملخص:

عرف التأليف المعجمي في القرون الأولى للهجرة المباركة نشاطا حثيثا، وكان معجم "أساس البلاغة" للزمخشري(ت538هـ) من أهم المعجمات التي حفيت باللفظ في مختلف أوجه استعمالاته، والمعنى في شتى سياقات الكلام، فقد عمد صاحبه إلى رصد روائع مجازات لغة العرب، وسعى للكشف عن مكامن أسرار الجمال اللسّاني، ومواطن البيان فيه، فصاغ معجمه صياغة دلالية استعارية تنبض بالحياة عبر توليد الدلالات، وتعج بالحركة من تكاثف المعاني... تأليفا يصب في خانة المعجم، ويحسب للبلاغة، ويضاف إلى نظرية الاستعارة بمفهومها التأويلي في البلاغة الحديثة. وعلى الاختلاف بين الحقيقة والمجاز، وعلى التفاوت في أسباب الفصاحة، بنى الزمخشري تصوره المعجمي خارج نطاق الحقيقة إلى رحاب الاستعمال الاستعاري للغة، أو ما بات يعرف في اللسانيات الحديثة "**بالاستعارة الحية**".

الكلمات المفتاحية: أساس البلاغة للزمخشري،الاستعمال الاستعاري للغة، التأليف المعجمي، المعجم السّياقي، المعنى.

Abstract: Lexical composition was active in the first centuries of the blessed migration, and the lexicon **«Asās al-Balāghah,» by «Zûmakheharï»** was one of the most important dictionaries that embraced the word in its various aspects of its uses, and the meaning in various contexts of speech. Its owner deliberately monitored the masterpieces of Arabic metaphors, so he formulated his lexicon with a metaphorical semantic formula that is alive by generating semantics, and teeming with movement from the condensation of meanings... a composition that falls into the category of the lexicon, is

calculated for rhetoric, and is added to the metaphor theory with its interpretive concept in modern rhetoric.

Key words: (Asās al-Balāghah by Zûmakheharï, lexical composition, the Siyafi lexicon, Meaning, metaphorical use.)

مقدمة:

رحُبَت الدراسات اللغوية العربية في القرون الأولى من الهجرة المباركة بعظيم الاهتمام من قبل العلماء العرب، وتعلقت–بما لا يخفى على أحدٍ– أيّما تعلق بادئ الأمر بالذكر الحكيم، وذلك أن اتخذته منهلا تستقي منه مادة الدراسات ومضامينها، بل كان هو السبب في نشأتها والباعث على خلقها وتكوين فروعها–كما هو معلوم وشائع– فقد أعيى نظم كلام الله بأسلوبه المعجز، كل عالم وفقيه ولغوي حذق، وجعلوا بيانه غاية ترجى، وطلبوا كل وسيلة لبلوغ معانيه؛ وحظي – على إثر ذلك– البحث البلاغي والدلالي، ومن ورائه البحث النحوي والمعجمي بعناية خاصة، **وأعزوا مسألة** الإعجاز إلى "**المجاز في لغة القرآن**"وطبيعة التركيب في أسلوبه وإلى النسب النحوية، وردوا أمره جميعا على الحقيقة والمجاز في علاقة اللفظ بالمعنى.

ولما ازدهرت الدّراسات وآتت علوم اللغة أُكلها، **لاسيما** في القرن الخامس إلى السادس منها، برز **الزمخشري؛ و**قد اقترن اسمه بزمخشر من قرى خوارزم، وهو **الإمام جار الله، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي** بمنهجه الذي يحسب على **الاعتزال في المذهب** والعقيدة، العالم اللغوي والمفسر المعجمي والأديب الشاعر. منذ أواخر القرن الخامس ومطلع السادس للهجرة، أي الثاني عشر الميلادي (467–538هـ) الموافق لـ (1144/1075م)، حيث يشهد الواقع اللغوي التراثي للزّمخشري أنه معلمٌ بارزٌ من معالم البلاغة العربية، فقد ذاع سَيْطُه بمؤلفاته ومصنفاته الغرر في التفسير، واللغة والنحو، والشعر، والنثر والمعجمية...، فله في الشعر: "**ديوان شعر**" وفي النثر عرف بفن المقامات، فله "**مقامات الزمخشري**"، واعتنى بالحديث، ووضع "**المستقصى في أمثال العرب**" وصنف "**الرائض في علم الفرائض**، وفي النحو وضع"**المفصل في النحو**"وقد برع في تفسير القرآن الكريم واشتهر بـ:"الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل " وتفرد وتميز في مجال المعاجم بمعجم "أساس البلاغة"، وقد دفعه ولعه الشديد بروعة أسلوب العربية واشتياقه لها وإعجابه بها وإدراكه لأسرارها وغوصه في أعماقها وإحاطته بمحصولها اللغوي إلى تقصي مجازات العرب العاربة، بأسهل الطرق حيث جمعها وضعها في معجم على الترتيب الألف بائي وهو ما عبر عنه حسين نصار أثناء دراسته لتبويب المعجم: « ينقسم المعجم إلى أبواب وفقا لحروف ألف، باء

المعروفة؛ فالأول باب الهمزة ثم باب الباء، فباء التاء، فباب الثاء، فباب الجيم... إلى باب الياء»[1] فبرز بما تخصص فيه من **مجاز** ونبغ بمنهجه الفريد، الذي جعل من مصنفه دُرّةٌ من الدرر وكنز من كنوز تراث اللغة العربية التي تفخر بها لغة الضاد، وهو ما يعكس أنه عالم عبقري فذ خطى خطوة جبارة في فهم العلاقة بين اللفظ والمعنى وأثر المجاز على آليات تعكس مدى تبحره في علم الدلالة وتمكنه من علم البيان، وعليه ستحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عن بعض تساؤلات المنهج المعتمد.

إشكالية البحث: إن الإشكالية الأساس التي تروم هذه الورقة البحثية معالجتها تكمن في التساؤل الآتي: **ما مدى تأثير التعبير المجازي في تغيير دلالة الكلمة؟** وتطرح انشغالا عاما حول حقيقة الاستعمال الاستعاري للغة، فما هو الفرق بين معنى الكلمة في المعجم والمعاني الأخرى التي تكتسبها بفضل سياق الكلام المتغير والاستعمال الاستعاري للغة؟ كما تسعى الورقة إلى إعطاء نظرة عامة عن بعض معالم التأليف المعجمي العربي وقضايا المعنى بين الاستعمال الحقيقي والاستعمال المجازي، وذلك في ضوء اعتماد معجم "أساس البلاغة" وأهم الميكانيزمات العلمية والأسس المعرفية التي تبناها الزمخشري في تأسيس معجمه البلاغي.

منهج الدراسة: أما عن منهج الدراسة فقد اعتمد البحث "المنهج الوصفي التحليلي" لأنه الأنسب لمثل هذه الدراسة التي تحتاج إلى وصف الظواهر اللغوية المستهدفة من الدراسة في المدونة، ثم تتبعها بالشرح والتفسير والتحليل، بأمثلة وشواهد من مادة المعجم، تدعم الموقف الوصفي، وتزيد من قوة المنهج التحليلي حضورا وتفصيلا في شتى جوانب الدراسة.

المبحث الأول: الميكانيزمات البلاغية الدّلالية والآليات المعجمية التي اعتمدها الزمخشري في تدوين معجم أساس البلاغة.

لا شك أنّ للزّمخشري ميكانيزماته الفنية الخاصة، وآلياته المنهجية التي اضطلع بها في تعبئة أسسه النظرية والتطبيقية لتأليف معجمه أساس البلاغة؛ تلك الميكانيزمات ذات أبعاد لسانية، وعلمية معرفية وفكرية، وجمالية ذوقية؛ بل وحتى عقائدية مذهبية؛ تعمل بشكل إبداعي منهجي وتصب في حوض البلاغة الواسع، وتتشابك مع حدود السّياق والمعنى، والدّلالة، والتأويل؛ في خطوة جادة منه لاستحداث قاعدة ومنهج في أصول التأليف المعجمي العربي، تشذ عن غير الذي اعتاده مؤلفو

[1]– حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ج 2، ط2، ملتزمة الطبع والنشر – مكتبة مصر – دار مصر للطباعة، القاهرة، 1968 م، ص 690–693 (الفصل الأول– أساس البلاغة).

المعاجم، ومدونو الحديث على السواء، ومصنفو معاجم الأمثال والحكم ... وتختص بسمات محددة جاء ذلك كله من طول النظر والممارسة، وتفحص التراث من ألفاظ ومعانٍ ليحفظها معجمه الذي بين أيدينا، فقد عُرف الرجل بالروية والتجديد ومعرفة كتب التراث بدءًا من الخليل إلى تلميذه سيبويه، ومن أعقبهم من علماء العرب في شتى مجالات اللغة والتفسير والفقه والحديث...

المطلب الأول: الركائز العلمية والأسس المنهجية المعتمدة في أساس البلاغة

لقد كان لمنهج الزمخشري من الركائز الميكانيزمية والأسس الفنية التي اعتمدها في بناء نظريته ما خول له الانفراد بمنهجه المجازي مما يعكس نفاذ بصيرته المعجمية، حيث يمكن عموما أن يلاحظ عليها ما يصح أن نعتمده كأهم الركائز الآلية التي اعتمدها في بناء نظريته اللغوية في الاستعمال المجازي للغة التي تخرج بالجذر عن معناه الحقيقي إلى معان أخر يحددها الاستعمال السياقي:

1- ركز على المجاز واعتبره أقوى دلالة من الحقيقة، وركز على الجانب التداولي الاستعمالي للغة.

2- اتجه إلى اللغة المحكية وأعاد النظر في طبيعة العلاقة بين اللفظ والمعنى الحقيقي والمجاز في توليد الدلالات

3- ألّف بين علوم ثلاث:علم الدلالة وعلم المعجم وعلم البلاغة:

4- اتجه إلى الجانب اللسانيات الاجتماعية وجمع بين اللغة والمجتمع وثقافة الأدب

5- عني بالسياق الكلامي عناية خاصة وجعله مدخلا لفهم دلالة اللفظ اعتمد المقام الكلامي في تخريج الدلالات وإنتاج المعاني واعتنى باللغة في جانبها التداولي وانتقى من لغة العرب أجمل التعابير ومليح الأساليب

6- ركز على جماليات الاستعارة و بحث عن مواطن الحُسن في الكلام، وآثر الاستعارة على التعبير بلفظ الحقيقة وآثر والكناية على التصريح.

كانت تلك أهم الركائز التي توكأ عليها الزمخشري في تأسيس نظرية معجمية قوامها البلاغة وعمادها الاستعمال الاستعاري للغة، فالمعجم تراثي سياقي، يجمع بين اللغة والمجتمع وثقافة الأدب، ويحشد **المجازات** لشرح المداخل المعجمية حشدا ويستمد شواهده من القرآن والحديث ويضرب الأمثال من أحسن استعارات العرب ويورد التعابير السياقية، فهو يقف عند كل مدخل بتقصي معانيه المختلفة ولا يقف عند معناه الثابت في المعاجم؛ أو ما بات يعرف بالمعنى المركزي أو المعنى الحقيقي؛ بل ينظر في لغة العرب وفي شتى التعابير المجازية التي هي مدار

التوسع اللغوي عند إجراء تحليل **سيميائي للمادة اللغوية** التي حشد بها شروح أساس البلاغة.وما استشهد به من مادة غزيرة من أشعار العرب.

لقد سعى الزمخشري جهده لإخراج المعجم من الحيز الضيق الذي يجعل اللفظ أسير معنى ثابت، لا يحول ولا يزول إلا بزوال أو موت ذلك **اللفظ** المصون في ثنايا شرح المعجم، إلى رحابة أفقه الواسعة في الاستعمال المجازي، والذي يحوي كل ما أورثتنا إياه أفصح الألسنة العربية وبديع ما تزخر به ألوان البلاغة من محاسن المجاز إلى روعة البيان، وعلى رأسها جميعا كالتاج المرصع باللؤلؤ والمرجان كلام الله المعجز بلسان عربي مبين، فليس هناك ما يعجز عنه لسان الإنسان سوى بيان القرآن،: ﴿**الرَّحْمَانُ(1)عَلَّمَ القُرْآنَ(2) خَلَقَ الإِنْسَانَ(3)عَلَّمَهُ البَيَانَ(4)**﴾[2]، ويتلوه حديث نبيه العربي العدنان الملقن أسرار الفصاحة في الكلام والعارف بالبيان، ويردفهما أساليب العرب العاربة من جهابذة اللغة، وأقحاح الأعراب في بوادي نجد وتهامة إلى فحول شعراء قيس وتميم وخطباء هذيل وثقيف فقد أودع معجمه كما قال في معرض تقديمه له: «فصيح اللغات، وملح البلاغات، وما سمع من الأعراب في بواديها، ومن خطباء الحلل في نواديها، ومن قراضبة نجد في أكلائها ومراتعها، ومن سماسرة تهامة في أسواقها ومجامعها، وما تزاجرت به السقاة على أفواه قُلُبها، وتساجعت به الرعاة على شفاه عُلبها، وما تقارضته شعراء قيس وتميم في ساعات الممانتة، وما تزامنت به سفراء ثقيف وهذيل في أيام المفاتنة، وما طولع في بطون الكتب ومتون الدفاتر، من روائع ألفاظ مفتنّة، وجوامع كلم في أحشائها مجتنّة. وما وقع تحت عبارات المبدعين، وانطوى تحت استعمالات المفلقين، أو ما جاز وقوعه فيها، وانطواؤه تحتها، من التراكيب التي تملح وتحسن، ولا تنقبض عنها الألسن.... ومن خصائصه تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح، بإفراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح»[3].

المطلب الثاني/المعنى من الحقيقة إلى المجاز، ومن التصريح إلى التلويح بالكناية

لقد كان ما أقدم عليه **الزمخشري**، حينما وضع معجما مجازيا بمثابة ثورة على الحقيقة لصالح المجاز، في وقت تعالت فيه الأصوات وتوالت به الثورات في موضوع الحقيقة والمجاز في القرآن، ودارت فيه حروب طاحنة بين أنصار الرأيين، انتهت لصالح الحقيقة، وعلى الاختلاف بين

[2]– سورة الرحمان الآيات من (01 إلى 04)

[3]– عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، ط1، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان–الأردن، 2009م، ص 21.

الحقيقة والمجاز، وعلى العلو في سلم الفصاحة، وعلى التباين في مراتب التميز في أسرار البيان وفي فن التصوير الاستعاري، وعلى مكامن جودة الصياغة في المحكي بالفصيح والمكنى عنه بالصريح، وعلى جل الإبداعات البلاغية المختزنة في اللسان العربي المبين في روائعهم النثرية والشعرية، وعلى كل ذلك... وأبعد منه بنى صاحبنا تصوره المجازي لينافس به كل ترتيب سبق مادة معجمه وموضوعه ويجعله حجة له في التصنيف المعجمي، فهو يضرب لكل لفظ مثلا من المجاز يعكس أساليب العرب التعبيرية ومجموع خبراتها الأدبية والفنية: «ومنها التوقيف على مناهج التركيب والتأليف، وتعريف مدارج الترتيب والترصيف؛ بسوق الكلمات متناسقة لا مرسلة بددا(متفرقة) ومتناظمة لا طرائق قددا؛ مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية إلى مراشد حُرّ المنطق، الدالة على ضالة المنطيق المفلق. ومنها تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح بإفراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح»[4].

قد كانت حقيقة الإعجاز القرآني في "**أساس البلاغة**" هي محور بحث المفسرين واللغويين والدّلاليين، وعلماء الأصوات، والنحو والصرف والبلاغة، حيث فطنوا منذ بواكير الدرس اللساني ومع بدايات انشغالهم بقضية اللفظ والمعنى؛ أن الألفاظ قاصرة عن أداء الدلالات وإنتاج المعاني الجديدة ما بقيت حبيسة الحقيقة في التصانيف المعجمية، وما ظلت أسيرة تحت سطوتها، وأن اللغة مجاز في أغلبها: «ومن هنا يصبح التعبير اللغوي بحاجة إلى جواز الحقيقة العرفية إلى استعمال آخر للفظ يسمى **المجاز. وإذا نظرنا إلى المعاني المتعددة للفظ الواحد في أحد المعاجم أحدها يفهم من اللفظ بطريق الحقيقة العرفية ونجد بقيتها مجازات عن هذه الحقيقة**»[5] ، ذلك ويعتقد تمام حسان أن علم المعجم أكثر ما يكون على صلة بعلم البيان لأن مجالهما واحد وهو النظر في دلالة الكلمة وفي طبيعة العلاقة بين الكلمة وبين ما يطرأ على دلالتها من اختلافات بحسب تغير وضعها في الجملة وحتى في السياق :«وأما علم البيان فأكثر صلة بالدراسة المعجمية منه بالقواعد التي تبحث في المعاني الوظيفية، فمجال علم البيان كمجال المعاجم هو النظر في العلاقة بين الكلمة وبين مدلولها على ذكر من الطبيعة العرفية لوضع الكلمة ومن تخصيص كل كلمة بمعنى تدل عليه بحسب

[4]– الزمخشري، الإمام جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، المطبعة الأصلية، صيدا– بيروت 1430هـ–2009 م، من مقدمة الزمخشري للمعجم. ص 04

[5] – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، طبعة 1994. ص 21

الوضع الكلمة ومن تخصيص كل كلمة بمعنى تدل عليه فلا تكون أوسع منه ولا أضيق في الدلالة».[6]

يضاف إلى ذلك أبواب البيان من: الاستعارة، والكناية، والتشبيه، والمجاز؛ وبهذا الأسلوب أثار الزمخشري قضية جوهرية في طبيعة اللغة وبنيتها بين معنى اللفظ المعجمي ومبناه من خلال التداول عبر تشكل المعاني في السياقات المختلفة، ليخطو خطوة جادة ويؤسس اتجاها جديدا في المعجمية العربية، الذي أخذ منحى مخالفا وبذلك تحول فيه صاحبه من الحقيقة إلى المجاز، ومن الصريح إلى المكنى عنه، ومن المرادف إلى المستعار ومن اللغة إلى البلاغة، وكان هدفه السّعي إلى الإعجاز البلاغي. وهو ما صرح به الزمحشري في مطلع تقديمه للمعجم وتبيان خصيصته المنهجية وبين أنه سعى إلى تخير أحسن العبارات من أجود التراكيب المليحة وأحسن التعابير وأبلغ العبارات التي جادت بها ألسنة المبدعين: «ومن خصائص هذا الكتاب تخيُّر ما وقع في عبارات المُبدعين، وانطوى تحت استعمالات المُفْلقين، أو ما جاز وقوعه فيها وانطواؤه تحتها، من التراكيب التي تملُح وتحسنُ» [7] وقد بين لنا الزمخشري هدفه وعنايته في تأليف معجمه وميدان بحثه ومصادره ومنهجه، ووصف الأداة وفصل في منهج المعجم وطريقة تبويبه، فقال:إن علم البيان العربي وجه عنايته الخاصة إلى اللغة لاعتبار جهة المعنى... »[8]

المبحث الثاني: أساس البلاغة بين علمي البيان والمعجمية، دعوة إلى تأسيس قوانين فصل الخطاب على الكلام الفصيح.

لقد أثار الزّمخشري بتخطيه حدود الحقيقة والمعنى المرادف في المعجم، إلى المعنى المجازي، وتعاليه عن الصريح إلى الكناية، وبتركه المألوف والمباشر القريب إلى طرائق استعارة العرب وأساليبهم التي يتم بواسطتها توليد دلالات حية في أساليب الكلام تجدد وفق مقاصد السّياق الكلامي، وإعادة إنتاج معانٍ لألفاظ قد تكون ميتة، أو أوشكت على ذلك بتجاوزه معنى اللفظ الظاهر إلى معان أخرى تبقى رهينة الخيال ودفينة اللسان؛ ما لم تحركها المشاعر وتجود بها القرائح، فمضى يجمع أجود مجازات العرب السارية على ألسنتهم، ومليح تعابيرهم الجارية في أخليتهم، وبديع أمثلتهم وروائع حكمهم؛ «فصيح اللغات، ومليح البلاغات، وما سمع من الأعراب في بواديها، ومن خطباء الحلل في نواديها، ومن قراضبة نجد في أكلائها ومراتعها، ومن سماسرة تهامة في أسواقها ومجامعها،

[6] – المرجع السابق. ص 19

[7] – الزمخشري، الإمام جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، ص 18.

[8] – المصدر نفسه ، ص19.

وما تزاجرت به السقاة على أفواه قُلُبها، وتساجعت به الرعاة على شفاه عُلبها، وما تقارضته شعراء قيس وتميم في ساعات المماتنة، وما تزامنت به سفراء ثقيف وهذيل في أيام المفاتنة، وما طولع في بطون الكتب ومتون الدفاتر، من روائع ألفاظ مفتنّة، وجوامع كلم في أحشائها مجتنّة. وما وقع تحت عبارات المبدعين، وانطوى تحت استعمالات المفلقين، أو ما جاز وقوعه فيها، وانطواؤه تحتها، من التراكيب التي تملح وتحسن، ولا تنقبض عنها الألسن.... ومن خصائصه تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح، بإفراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح »[9]

وصاغ معجمه **صياغة استعارية** تنبض بالحياة، وأخضعه لضرب من التربيت الدقيق على أحرف الهجاء العربي، مضيفا إليها من لفتاته الذهنية وسابغا عليها من بصريته النافذة، وزاداه كمالا ما استشهد به من القرآن واستدل من الحديث النبوي الشريف، ما جعله يبلغ مشرف الابتكار والتجديد، بما ينأ عن أي تقليد أو اتباع، ليكسر غفلة الجمود والتكرير ويبعث حركة الإبداع والتجديد في التأليف والتصنيف:، وقد أفصح الزمخشري عن ذلك في أثناء: «وقد رتبت الكتاب على أشهر ترتيب متداولا، وأسهله متناولا يهجم فيه الطالب على طلبته موضوعه على طرف الثمام، وحبل الذراع، من غير إن يحتاج في التنقير عنها إلى الإيجاف والإيضاع؛ وإلى النظر فيما لا يوصل إلا بإعمال الفكر إليه، وفيما دقق النظر فيه الخليل وسيبويه».[10] ولأن علم البيان على صلة وثيقة أكثر من تلك الصلة التي تبحث في المعاني الوظيفية فهو العلم الأكثر صلة بعلم المعجم: «وأما علم البيان فأكثر صلة بعلم المعجمية منه بالقواعد التي تبحث في المعاني الوظيفية، فمجال علم البيان كمجال المعاجم هو النظر في العلاقة بين الكلمة وبين مدلولها، لقد كان البيانيون على ذكر من الطبيعة العرفية لوضع الكلمة ومن تخصيص كل كلمة بمعنى تدل عليه حسب الوضع فلا تكون أوسع أو أضيق في الدلالة وكما يختلف التحليل والتركيب في صناعة النحو يختلف معنى الوضع عن معنى الاستعمال في دراسة البيان، فالواضع يضع اللفظ لمعنى مطابق فتكون دلالته على هذا المعنى من باب الحقيقة، ولكن اللغة أي لغة في العالم–أضيق في مجالها اللفظي من حقل الأفكار التي ترد على ذهن المتكلمين بها ومن الصور التي ترد في أخيلتهم ومن هنا تصبح المعاني العرفية أي الحقيقية للألفاظ قاصرة على عن الوفاء بمطالب التعبير اللغوي وفي مجال الأفكار والصور

[9]– المصدر نفسه، من (مقدمة) الكتاب، ص14

[10]–انظر (مقدمة) أساس البلاغة، للزمخشري، ص 19. على طرف الثمام: أي قريبة سهلة التناول. الايجاف والإيضاع: ضربان من السير السريع

والضلال بوجه خاص، ومن هنا يصبح التعبير اللغوي بحاجة إلى جواز الحقيقة إلى استعمال آخر يسمى المجاز»[11]

المبحث الثالث: المنهج السياقي وأثره على تغير الدلالة، وإعادة أنتاج المعاني

وإن منهج الزمخشري السّياقي، ماثل عند علماء اللغة المعاصرين، وقد تتبعوا أسلوبه ولغته ومنهجه وحددوه بالسياق اللغوي. وعند دراسة المنهج السياقي يتبين: " أن منهج الزمخشري يعتمد السياق context ، وهو ما اعتنى به علم اللسانيات الحديثة، ووظفه في بيان الدلالة على مساحة واسعة من اللغة في ميدان الدلالات التركيبية strucatural sémantiques، وكأن الزمخشري كان يستشعر أن الوحدة اللغوية مفردة لا تحمل إلا بعض أجزاء المعنى، وإن دلالتها المكتملة وتباياناتها لا تظهر إلا داخل السياق اللغوي linguistic context وسياق الحال context of situation " [12]

ومن الجدير بالذكر أن "منهج البحث في دراسة المجاز والدلالة" يتناول دراسة الجانب الدلالي في المجاز كما عرضه نقاد الشعر في القرن الرابع تنطوي على مخاطر عدة، ذلك أن تطبيق المفهومات الحديثة للأبحاث والنظريات على الأعمال النقدية القديمة يحتاج الى تنبه شديد، والتزام بحدود القضايا المطروقة في كتب التراث– وفي علم الدلالة خاصة– ندرس المجاز بضروبه (المرسل، والاستعاري) في إطار دلالي وكيف وظف المؤلفون هذه الدراسة لتخدم مسائل لغوية دلالية، وهم يقدمون تحليلا مفيدا للناقد ودارس الأدب إذا ما نظرنا إلى القضية من زاوية النقد، فالمادة المحللة تتصل من طرف باللغة واستعمالاتها، ولها طرف آخر يضيء النتاج الأدبي عامة، والشعر خاصة، وهكذا تستطيع كل طائفة من الدارسين الإفادة – مما عرض – بطريقتها الخاصة بها "بعض الآراء التي بسطها النقاد في مصنفاتهم النظرية فيما يتعلق بالجانب الدلالي للاستعارة والمجاز عامة، وعلى هذا نتمكن من متابعة الاهتمام اللغوي – دلاليا – في النظرية النقدية ذاتها مما يجعلنا على درجة أكبر من الاعتقاد بجدوى ذلك النمط الدلالي في التحليل الأدبي وفي إعطاء نتائج لغوية عامة».[13]

---

[11]–Michel Le Guern, Sémantique de la métaphore et de la métonymie, Librairie larousse, p67.

[12]–عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، ص 267.

[13]–فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، "دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية"، الإعادة الخامسة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، 1427هـ–2006 م، ص 377.

وإذا تناولنا بالدرس والتحليل مقدمة "أساس البلاغة" للزمخشري لاحظنا أنها قد انطوت على اللفظ والمعنى والسياق في الوقت ذاته. وفي ذات السياق ذكر "**صاحب العمدة** " قائلاً: « اللفظ جسم، روحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ، كان نقصاً للشعر وهجنة عليه، كما يعرض بعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح؛ وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه، كان للفظ من ذلك أوفر حظ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح. ولا نجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب؛ قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح. فإن اختل المعنى كله، وفسد، بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع؛ كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأى العين، إلا أنه لا ينتفع به، ولا يفيد فائدة، وكذلك إن اختل اللفظ جملة، وتلاشى، ولم يصح له معنى؛ لأنا لا نجد روحاً في غير جسم ألبته. ثم للناس فيما بعد **آراء ومذاهب:** منهم من يؤثر اللفظ على المعنى، فيجعله غايته ووكده، وهم فرق: قوم يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته إلى مذهب العرب إلى غير تصنيع، كقول بشار: [من الطويل]

إذا ما غضِبنا غضبةً مُضريّة **** هتكنا حجاب الشمس أو مَطرَتْ دما

إذا ما أعرنا سيـدّا من قبيلـةٍ **** ذرى مـنبرٍ صـــلّى علينا وسلّـما[14]

« وهذا النوع أدل على القوة، بما وقع فيه من موضع الافتخار، وكذلك ما مدح به الملوك، يجب أن يكون من هذا النحت...»[15] ويبدو أن الشاعر أراد من وراء فخره بالعرب أن يفخر بنفسه، وقد وفق إلى حد بعيد في اختيار الألفاظ الموافقة للمعاني المرغوب في التعبير عنها، وذلك لمناسبة اللفظ المعنى الملائمة فأحسن اختيار التعابير المجازية والألفاظ الجزلة والعبارات الشديدة للفخر والحماسة، فقد استعار بالهتك لحجاب الشمس وهذا أمر محال في الواقع، وأما أن تمطر السماء، فللمتلقي أن يختار الطريقة التي يتخيل بها عنف المشهد وقوته، ولقد لعبت الاستعارة هاهنا دورا بالغا الأهمية في تقوية المعنى وإثارة السامع.

[14] – بشار بن برد، ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، المجلد الثاني، الجزء الرابع، الطبعة1، دار سحنون للنشر والتوزيع– دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، تونس 1429 هـ/2008م، ص 184.

[15]– ابن رشيق، الحسن القيرواني (المتوفى سنة 456هـ) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب، العلمية بيروت، 1422هـ –2001 م، ج1، ص 131–132.

ولعل الحديث عن قوة اللفظ ومدى مناسبته للمعنى، يحيل للحديث عن قضايا اللفظ وخصائصه المتعلقة به في ذاته من حيث سلامته من التكلف، وابتعاده عن التعقيد، وهو أمر يتعلق بصفة مباشرة بقضايا المعنى في المعجم، أما ما تعلق بالمعنى من حيث السّياق ومسألة الجزالة، وقوة الأسلوب وشدة التأثير في السامع، فإن الأمر يرجع إلى الدراسات البلاغية العربية وما لها من علاقة بعلم البيان وعلم المعاني، وما لهما من ارتباط بالمتكلم والمتلقي، بما يُكون صورة ولو جزئية عن بعض المسائل البلاغية وعلاقاتها بالتراكيب والمعاني: «وقد ضبطت خصائص اللفظ، في ذاته، بأن يكون سليما من التكلف، بعيدا عن سوء الصنعة، بريا من التعقيد وهي مقاييس انطباعية يتحقق بها الطبع، ليفهم المراد، في حاجة إلى أن يطيل التأمل والتّفكّر، أما ما يجب أن يقوم بينه وبين المعنى، فلقد أكدوا على ضرورة تطابقهما وتزامنهما بحيث يستدعي حضور المُتصوّر في الذهن اللفظ اللائق به المؤدي له بضرب من الشفافية لا مجال لأن يشاركه غيره فيه»[16].

ولقد ذكر "عمر أوكان" مسألة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، وهي قضية الارتباط المتبادل بين اللغة والنواحي العضوية الفيزيولوجية الجسدية المشتركة بين البشرية، من مثل سيطرة المخ على التحكم في العمليات اللغوية، وبين أن خصائص كل جانب من جوانب العقل على علاقة وطيدة باللغة والتحكم في عملية الكلام، وأوضح أن الجانب الأيسر منه أكثر ارتباطا باللغة، كما بين أن تطور اللغة لدى الإنسان مرتبط بمراحل نموه العمرية، وأكد أن هنالك جدولًا زمنيًا معين لا يمكن تعجيله أو تأخيره، لدى النمو اللغوي للطفل، هذا الذي لا يمكن أن يتغير بتأثير عوامل فيزيولوجية، أو جسدية خَلْقية في جسم الإنسان، حتى وإن وجدت هنالك مضاعفات على مستوى الأعضاء المتعلقة بالنطق أو المسؤولة عن عملية الكلام بالدرجة الأولى مثل: اللسان والقصبة الهوائية والرئتين والبلعوم...، فقال موضحا ذلك: « إذ يشترك كل البشر في سمات حياوتية خاصة ترتبط باللغة مثل سيطرة الجزء الأيسر من المخ مثلا خصائص كل جانب من العقل، حيث يرتبط الجانب الأيسر، من بين ما يرتبط به، باللغة. وتطور اللغة حسب جدول زمني معين لا يمكن تعجيله أو تأخيره، فجدول النمو اللغوي للطفل لا يتغير حتى لو طرأ تغير جذري على جدول التطور العضوي الشامل للجسم؛ حيث إن اختبارا أجريَ على طفل مصاب بضيق في المجرى الهوائي، مما استلزم عملية جراحية فوق البلعوم لإدخال أنبوب يساعده على التنفس، وبعد يوم من إجراء العملية بدأ بالمناغاة التي تتناسب وعمرَهُ؛ أي في الشهر الثامن، دون أن يكون بحاجة إلي سماع أصواته الأولى؛ أي مرحلة **الثغثغة**

[16]– حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءه) ، مجلة الفلسفة والآداب منشورات الجامعة التونسية– تونس– السلسة السادسة: مجلد(01) عدد:21، 1980م، ص 116.

(وقد بين **تورانس** في كتابه "**أسلوبك في التعلم والتفكير**" خصائص كل جانب من العقل، حيث يرتبط الجانب الأيسر، من بين ما يرتبط به، باللغة. وتطور اللغة حسب جدول زمني معين لا يمكن تعجيله أو تأخيره، فجدول النمو اللغوي للطفل لا يتغير حتى لو طرأ تغير جذري على جدول التطور العضوي الشامل للجسم؛ حيث إن اختبارا أجريَ على طفل مصاب بضيق في المجرى الهوائي، مما استلزم عملية جراحية فوق البلعوم لإدخال أنبوب يساعده على التنفس، وبعد يوم من إجراء العملية بدأ بالمناغاة التي تتناسب وعمرَهُ؛ أي في الشهر الثامن، دون أن يكون بحاجة إلي سماع أصواته الأولى؛ أي مرحلة **الثغثغة**».[17]

لا شك أن اللفظ والمعنى يتطلب ظروفا معينة وبيئة خاصة لأداء الألفاظ بوصفها صورة للتواصل والتبليغ، وفضلا عن ذلك، فإن هذه الألفاظ تنسحب عند الإنسان على **الأمراض اللغوية**: «أمراض **اللغة** أو اضطرابات التي تصيب الأجهزة السمعية أو المنطقية، أو تلك الأمراض أو الاضطرابات العصبية أو النفسية التي تؤدي إلى انقطاع يصيب عملية التواصل. ولن نتهم هنا إلا بالأمراض التي لها صلة بالاكتساب اللغوي؛ وهو ما سيوجهنا نحو دراسة **الحبسة** التي لها ارتباط عكسي مع اكتساب اللغة لدى الطفل وفقدانها لدى المحبوس؛ ويتجلى ذلك، حسب جاكبسون، في كون الطفل لا يميز بين الصّوَيْتات من نوع: /ض/و/د/أو/س/ص/أو/ت/و/ط/ إلا في مرحلة متأخرة من تعلمه اللغة؛ في حين أن هذا التمييز هو أول ما يفقده المصاب بالحسبة.

و**الحبسة** هي احتباسُ الكلام لدى المتكلم مما يؤدي إلى فقدانه أو الصعوبة في النطق أو فهم المعنى أو القراءة أو الكتابة. نظرا لتعدد الدراسات والدارسين في هذا المجال فسوف نركزُ اهتمامنا على رومان جاكبسون لما لبحوثه من طابع لساني وثيق الصلة بموضوعنا عن **الاكتساب اللغوي**. فقد اهتم هذا الباحث بدراسة **الحبسة** في كتابين له هما: بحوث في اللسانيات العامة؛ ولغة الأطفال و**الحبسة**؛ وذلك نظرا لما لها من أهمية في الدراسة اللغوية حيث يمكنها ان تفتح أمام الباحث اللساني آفاقا جديدة تتعلق بالقوانين العامة للغة».[18] وحين يتساءل المرء عن هذه المصطلحات الحديثة في علم النفس اللغوي يجدها في أثوابها القديمة ودلالاتها منطوية على جذور معجمية. يقول الزمخشري، (حبس): «حبستهُ فاحْتَبَسَ، واحْتبسته: اختصصته لنفسي، واللص في الحبس والمحبس، واللصوص في المحابس، وأحبستُ فرسا في سبيل الله وخيلا، وهو حبيسٌ، وهنّ حُبُسٌ. **وبفلانٍ حُبْسَة وهي ثِقل يمنعُمن البيان**، فإن كان الثقل من **العُجْمَة** فهو **حُكْلَة**. **ومن المجاز**: جعل أمواله

[17] – عمر أوكان، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب – الدار البيضاء، بيروت–لبنان–2001م، ص 16 –17.

[18]- Georges Mounin, Dictionnaire de la linguistique, Quadrige/PUF, 4 e édition : 2004 .p17 .

حُبُسًا على الخيراتِ»[19]

ولعل الوقوف على جذورٍ مختلفةٍ استقاها علماء اللغة والأدب وعلم النفس من القواميس القديمة ومنحوها مفاهيم جديدة، ما يدل على تغير معنى الكلمة من زمن لآخر؛ فعلى سبيل المثال: كلمة **الحُبْسَة** كلمة حديثة أحياها دلاليا مجمع اللغة العربية وسارت في المعجمات الحديثة مثل: المعجم الوسيط وغيره. وتجد عبارة **وهي ثقل يمنع من البيان**، وعجمة في اللسان ومرض في الكلام عند أداء الألفاظ في العربية. ويسوق الزمخشري أيضا في جذر (حكل): "**في لسانه حُكْلَةً**، أي: **عُجمة** وتكلمَ كلامَ الحُكْلِ وأَصِبْ، وهو ما لا يُسمع له صوتٌ كالذّر ونحوه؛ قال العَتْمانيّ: [من الطويل] وأشكَلَ عليّ وأحكَلَ». [20]

ويَفهمُ قولَ الحُكْلِ لــوْ أن ذَرّةً *** تُسَاوِدُ أخرى لم يفُتْه سِوَادُها

ومن الأصوات عند الحيوان، كالشاة والناقة، يقول الزمخشري (ثغي):

"تجَاوَبَ في أفنِيتِهم الثُّغاءُ والرّغاء، وما لفلانٍ ثاغيةٌ ولا راغيَةٌ، أي: شاة ولا ناقة. وأتيتُه فما أثغى ولا أرغى، أي: ما أعطى شاة ولا ناقة؛ قال: [من الطويل]

أبا مالِكٍ أوقَدتَ نَارَكَ للقِرَى *** وأرْغَيتَ إذَا أثْغي المَوَالِيَ في حَبْلِي"[21]

لقد بين الشاعر أصول الكرم والضيافة عند العرب وربطهما بالشاة والناقة للدلالة على الرموز المستخدمة عندهم في تلك الصفات المتصلة بالكرم. وأجود الكلام ما يكون جزلا سهلا، كقوله: " أبا مالِكٍ أوقَدتَ نَارَكَ للقِرَى". فالقرى أي الكرم صورة للكلام الجيد المحبب للنفس. يقول أبو هلال العسكري: « وأجود الكلام ما يكون جزلاً سهلاً، لا ينغلق معناه، ولا يستبهم مغزاه، ولا يكون مكدودا مستكرها، ومتوعرا متقعراً ويكون بريئا من الغثاثة عاريا من الرثاثة. والكلام إذا كان لفظه غثّا، ومعرضه رثا كان مردودا، ولو احتوى على أجلِّ معنى وأنبله، وأرفعِه وأَفضِله».[22]

ومعلوم أن جودة الكلام وحسن التعبير وفائدته تدل دلالة واضحة على أن محتوى الكلام يعبر عن الغاية التي نسمو إليها ونسعى نحوها بكل صدق وعناية وإخلاص. يقول عمر أوكان: (الترجمة

---

[19]– الزمخشري، أساس البلاغة، كتاب (الحاء) مادة (حبس) ص 151

[20]– المصدر نفسه، كتاب (الحاء) مادة (حكل) ص 187

[21]– المصدر نفسه، كتاب (الحاء) مادة (حبس) ص 102

[22]– أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين: "الكتابة والشعر"، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الإحياء الكتب العربية، عيسى باب الحلبي وشركاه، القاهرة، 1371هـ –1952م، ص 67.

والمصطلح البلاغي قديما وحديثا) : « ومن بلاغة الخطاب في النص "تواجد البلاغة في الخطاب اليومي للإنسان عبر النكتة، الشتيمة، الكتابة، بل حتى في الأحلام (فرويد والأحلام باعتبارها استعارة)؛ مما يجعل **الإنسان حيوانا بلاغيا**، وانتقال البلاغة من معرفة مبتذلة وفارغة ينادي الكثير بموتها (قرلين– هوجو) إلى معرفة زائدة تطمح لأن تصير علما عاما للخطاب (الخطابات)، بل وعلما مستقبليا لكافة فروع المجتمع (المجتمعات)، وهو ما يجعلها تحضر، بقوة في معظم الحقول المعرفية انطلاقا من الفلسفة والمنطق والأدب إلى اللسانيات وذالسميائيات والتداوليات وغيرها. وهذه القفزة الكوبرنيكية جعلتها تتخلى عن نزعتها المعيارية، المتمثلة في فرض القواعد من أجل إنتاج الخطاب، إلى نزعة وصفية تهتم برصد الوقائع من أجل تحليلها». [23]

ومن خلال ذلك يتضح جليًا أن اللفظ والمعنى المجازي البلاغي في "أساس البلاغة" للزمخشري يبرز معانيه في جذور اللغة، مثل (عرب): "**عَرُبَ لسانُه عَرابَةً**. وما سمعتُ أَعربَ من كلامهِ وأغربَ، وهو من العربِ العَرْباء والعارِبة، وهم: الصُّرَحاء الخُلّص. وفلانٌ من المُستعرِبة، وهم: الدخلاء فيهم؛ وقال جندل بن المثنى الطهو: [من الرجز]

جَعْدُ الثّرى مستعرِبُ التُرابِ

أي: بعيدٌ من أرض الأعاجِم، وفيه لوثة أعرابيةٌ قال: [من الطويل]

وإنّي على ما فيّ من عُنجُهِيّتي *** ولَـوْثَةِ أعرابِيّتي لأديبُ

وتعرّب فلان بعد الهجرّةِ؛ وقال الكميت: [من البسيط]

لا يَنقضُ الأمرَ إلا ريثَ يبرمُه *** ولا تُعَرّبُ إلا حَوْلهُ العرَبُ

وقد شرح الزمخشري جذر "**عرب**" شرحا مستفيضا بين فيه بقلب وجوه المعنى بين تقلبات الاستعمال الاستعاري للكلمة : « لا تعِزّ وتمتنع عزّةُ الأعراب في باديتها إلاّ عنده. وعَرّبَ عن صاحبه تعريبا إذا تكلّم عنه واحتجّ لهُ. وعَرّبَ عليه: قبّحَ عليه كلامه، كما تقول: احتجّ عليه، أو من العَرَبِ وهو الفسادُ. وقد أعَربَ فَرَسُك إذا صهل فعرف بصهيله أنّه عربيّ، وهذه خيلٌ وإبلٌ عِرابٌ. وفلانٌ مُعْرِبٌ مجيد: صاحب عِرابٍ وجيادٍ. وخير النّساء اللعّوبُ العَروبُ. وقد تعرّبَتْ لزوجها إذا تغزّلتْ له وتَحَبّبتْ إليه» [24].

ولا غرابة من أن يؤول هذا التعبير المعجمي عن دقة في اللفظ وفي تحديد مشتقات (عرب) في" أساس البلاغة" للزمخشري ويعود "**كل ذلك إلى مباحث بلاغية صميمة**، تتناول المفاضلة بين

[23]– Dictionnaire Hachette, Hachette livre, Paris: 2010, p 99.

[24]– الزمخشري، أساس البلاغة، (عرب) ص554 .

الأساليب لأسباب ترجع إلى مظاهر بنيوية صرف. وستساهم كتب الإعجاز في طرح جملة من القضايا النظرية، تتناول بالتفكير مختلف الاستعمالات اللغوية، ولا سيما ما يميز المستوى الإنشائي عن المستوى العادي في الكلام. وسيتمكن بعضهم انطلاقا من رؤية خاصة من بناء جهاز فكري متكامل برد أشتات المسائل إلى أصول قارة:«كما ساهم الفلاسفة بقسط وافرٍ في ربط الصلة بين التفكير اليوناني والتفكير العربي في فن القول وخصائص الشعر، سواء بالترجمة المباشرة للأصول اليونانية في الموضوع ككتابي "الخطابة "و"الشعر" لأرسطو أو باجتهادهم في فهم هذه الأصول ومحاولة تطبيقها على الأدب العربي». [25]

لا شك أن المتأمل في هذا النص يشعر بالبعد البلاغي الصرف فيه؛ لكونه يعالج الجانب البلاغي في ضوء المنطق والفلسفة والبلاغة "ونظرا إلى كثرة المساهمات وتنوع مشارب أصحابها، رغبنا عن الاستعراض التاريخي المفصل خوف التكرار والإيهام بأن لها نفس الفضل في تطوير البحث البلاغي والسعي به إلى الاكتمال؛ واخترنا أن نتعامل مع هذه المادة من خلال أهمّ القضايا التي أثارتها ممارسة العرب للبعد الإنشائي في اللغة: « وهي القضايا التي يمكن عدّها أصول تفكيرهم البلاغي وأساس نظريتهم الأدبية والجمالية». [26]

ويستخلص "**عيسى برهومة**" أهم أهداف ومناهج ومميزات "أساس البلاغة " للزمخشري فحدد لنا بروية أغراضه الدينية والعلمية والتطبيقية في البلاغة العربية، وكانت هذه القضايا البلاغية في بعدها الإنشائي اللغوي تتضح من منظور التفكير البلاغي عند العرب. ففي "أساس البلاغة" نجذ أن منهج الزمخشري يميل إلى البلاغة والفصاحة أكثر من ميله إلى المعجم بمفهومه الذي يصب في حوض المعاني الثابتة للكلم، باعتبار أن المعجم قائمة اسمية تشمل جذور كلمات اللغة من حيث معناها **المركزي الثابت**، ولعل أهم تلك الخصائص التي ذكرها الباحث يمكن إجمالها فيما يلي:

أولا / خصائص منهج الزمخشري: يمكن أن نعدد خصائص منهجه على النحو الآتي:

أ. اختار الزمخشري الترتيب الألفبائي لمداخل معجمه، فكان لكل حرف كتاب.

ب. رتب المواد اللغوية تبعا للحرف الأول فالثاني فالثالث.

ت. جرد المواد من الزوائد ونظرا إلى أصولها مرتبة حسب الحرف الأول.

ث. شرح المعاني شرحا دقيقا، مبتدئا بذكر المعاني الحقيقية ثم المعاني المجازية.

ج. قدم باب الواو على باب الهاء.

[25]– حمّادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب "أسسه وتطوره إلى القرن السادس"، ص313.

[26]– المرجع نفسه، ص 313.

ح. قسم الأبواب إلى فصول بحسب الثاني من الحروف الأصلية، وينقسم كل فصل إلى مواد مرتبة بحسب الحرف الثالث منها إن كانت ثلاثية، أول الثالث والرابع إن كانت رباعية، والثالث والرابع والخامس إن كانت خماسية.

خ. كان يرود الألفاظ الأكثر فصاحة في البداية.

ثانيا/ ومن مميزاته:

1) اهتمامه بالأساليب المجازية، وقد أفرد لها قسما بعد ذكره المعاني الحقيقية.إيراده الأساليب الرائعة المشتملة على المعاني البارعة، لتمثل ألوان البيان، وذلك باستدعائها من القرآن، والحديث، والمثل، والسجع، وأقوال الفصحاء.

2) الاختصار في الشرح وعدم اعتماده على غيره، وذلك بأن يعبر عن المعنى المطلوب بعبارة أوردها من أسلوبه، فكان لذلك أثر في معجمه، جعل لشخصيته كيانا مستقلا، ليس متهافتا على غيره.

إن تلك كانت أهم الخصائص المنهجية التي تميز بها هذا المعجم، وأهم سماته التّأليفية البارزة التي تجعله يميل إلى عالم البلاغة والأسلوب أكثر منهما ميلاً إلى قضايا المعنى الأصلي والمعنى **الحقيقي الثابت** فيما أن معنى الكلمة في المعجم مركزي, ولكن معنى اللفظ في السياق واحد لا ينفك يتجدد، لأن السياق تعينه القرائن ومقام القول على تحديد المعنى، ولو لم تكن السّياقات المختلفة لظلت الكلمة المعجمية صامتة في ذاكرة المجتمع، وبين سطور المعاجم، وقد بيّن لنا "عيسى برهومة" بعض الذي يصبوا إلى قوله بأمثلة تطبيقية من "أساس البلاغة" تدعم فكرته وتزيدها دلالة: « الجذرين:(ثقف) و(علم) فذكر **المعاني الحقيقية** ثم **المعاني المجازية**. وحاول بيان المآخذ التي ظهرت في "أساس البلاغة "حول الاستعارة والكناية والمجاز المرسل». [27]

المبحث الثالث/ آلية الخطاب المجازي في معجم أساس البلاغة:

لقد عكست الشواهد المجازية الكثيفة آليات الخطاب المجازي في أساس البلاغة ذلك البعد الفكري المنهجي، وكان لحضور الشاهد الشعري أثرا بالغ الأهمية في تبيان ما لعملية الصياغة التعبيرية المجازية من قيمة حضورية في التحكم في عملية الإبداع البلاغي، لما له من علاقة بالأسلوب، فقد ضمن الاستعارة على وجه الخصوص بشواهد تعتبر ملهمة للذوق في بلاغة الأسلوب

[27]– المرجع السابق ، ص 200.

وجمال الخطاب، ومثال ذلك ما جاء في أساس البلاغة في شرح مادة (ثفر): " أثفَرَ الدّابَةَ، ودابّةٌ مِثفَارٌ: يرمي بسرجِه إلى مُؤخّره.: **ومن المجاز**: استثفرتِ المستحاضة: تَلَجّمَتْ. واستثفرَ المُصَارِعُ: ردّ طرفَ ثوبه إلى خلفِهِ فغرره في حُجْزته. واستثفَرَ الكلبُ بِذَنَبِهِ؛ قال: [من البيسط]

تعدو الذّئابُ على من لا كِلابَ لَهُ *** وتتّقي مَرْبِضَ المُسْتَثْفِرِ الحَامِي

وقيل: كان أبو جهل مِثفاراً وكُذّبَ قَائِلُهُ. وأثْفَرَهُ: ساقه من ورائِه. وأثْفَرُوه بَيْعةَ سوءٍ: ألزقوه باستة».[28]

إن تحليل هذه المشتقات الواردة في "أساس البلاغة" للزمخشري مثل الجدول (1)

جدول توضيحي لبعض الجذور في معجم أساس البلاغة:

المبنى اللغوي لصيغة الفعل	المبنى اللغوي لصيغة الاسم
أثفر الدابة– استثفرت المستحاضة : تلجّمتْ. واستثفر المصارع: رد طرف ثوبه الى خلفه. واستثفر الكلب بذنبه وأثفره : ساقه من ورائه وأثفروه بيعة سوءٍ.	المستثفِر الحامي. دابة مثفارٌ، وكان أبو جهل مثفارًا المستثفر.

إنّ هذا الجدول (1) يبين السمات المميزة بين الصيغ الاشتقاقية في جذر(ثفر) التي تختلف دلالتها باختلاف استعمالها. " فالوظيفة التمييزية (distinctive function) هي الوظيفة الوحيدة التي اكتشفها تروبتسكوي، وأتباعه بل ثمة أيضا الوظيفة المحدد (demarcative function) التي تبين الحدود بين مبنى لغوي، وآخر في السلسلة الكلامية، وتعزز التماسك في المبنى اللغوي الواحد كي يبدو موحدا، وإذا كانت الوظيفة التمييزية تنشأ عن مقابلة الصيتات بعضها ببعض، فإن الوظيفة المحددة تنشأ من استخدام السمات فوق المقطعية (suprasegmental features) التي تتعلق بسلسلة صياتية مكونة من صيتتين فأكثر، وذلك كالنبر stres والنغمة tone،والطول length . فالنبر مثلا يميز بين صيغة الاسم في الكلمة الإنجليزية import، وصيغتها الفعلية (حيث يكون النبر في الاسم على المقطع الأول، وفي في الفعل على المقطع الثاني).»[29] وسبب الخلاف بين

[28]– الزمخشري، أساس البلاغة، ص 102.

[29]– محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي – ليبيا والطباعة للنشر والتوزيع طرابلس– بيروت لبنان، 2004 م، ص77.

هذه المصطلحات يحدد البراعة في الكلام والأسلوب، ناهيك عن مادة المعجم التراثي مثل" اساس البلاغة" الذي هو أحد معاجم المعاني في العربية.

المبحث الرابع/تصنيف "أساس البلاغة" ضمن معاجم المعاني السياقية في العربية

إن البحث في معاجم المعاني يحيل إلى أساس البلاغة للزمخشري على الفور، ويدلنا على"(كتب الفروق، معاجم: تهذيب الألفاظ / فقه اللغة / المخصص / أساس البلاغة). الفرق الحاسم بين معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني، أن معاجم الألفاظ يقصد بها – بالدرجة الأولى – القارئ العربي حين تعترضه كلمة صعبة أو غريبة لا يفقه معناها، **أما معاجم المعاني** فمقصود بها الكتاب والمنشئون والمترجمون–هؤلاء الذين يحضرهم المعنى ويكونون في حاجة إلى لفظ يعبر عنه.

ولقد دعت الحاجة كُتاب الدواوين في الدولة الإسلامية إلى جمع ألفاظ كتابية، تجمع الألفاظ الخاصة بمعنى من المعاني في باب واحد، فكانت مجموعة الكتب الأولى التي وضعها الأصمعي وأضرابه، ومن هنا دونت معجمات المعاني وما أسماها ابن سيده (بالكتب المبوبة)» [30] والتبويب في حقيقة الأمر هو ترتيب المعاني في حقول دلالية معينة: «ونرى أنّ كتب **الفروق** تأتي هنا نموذجا لمعاجم المعاني، وقد ألف في الفروق عديد من العلماء. ولكن مع الأسف لم يبق منها إلا كتاب **لقطرب** (ت206هـ) وآخر للأصمعي (ت216هـ). والفروق يعنى بها اختلاف الألفاظ في وحدة المسلمات بين نوع من المخلوقات ونوع آخر، أو بين فصائل الواحد أحيانا. وذلك مثل انطلاق الشفة: للإنسان، المشفر: لذوات الخلف، المجلفة: لذوات الحافر... وقد أسمى قطرب كتابه:"**ما خالف فيه الإنسان البهيمة في أسماء الوحوش وصفاتها**" ».[31]

ونجد أيضا في هذا السياق من كتب المعاني" تهذيب الألفاظ لابن السكيت، و"فقه اللغة للثعالبي"، و"المخصص لابن سيده"، وأساس البلاغة للزمخشري»، كما أن شرح جذر مثل (جلف) في أساس البلاغة، اعتمد في ذلك من المجاز ما يبين روعة البلاغة في الإيحاء بالمعنى، وبين ما للاستعمال الاستعاري للغة من فضل كبير في توليد الدلالات وتوسيعها، قال الزمخشري:«جَلَفْتُ ظُفْرَهُ عنْ إصْبَعِه: استأصَلْتهُ، وهو أَبْلَغُ مِنْ جَرَفْتُ. وَجَلّفَتِ السّنون أموالهم، وتعرّقتْهم الجَلائِفُ، وأصابتْهم جَلِيفَةٌ عظيمةٌ هي السّنة، قال العُجَيْرُ: [من الكامل]

---

[30]– أحمد طاهر حسنين، النظرية اللغوية عند العرب، الأصوات، الصرف، المعاجم، النحو، ط1، الناشر مكتبة الآداب، القاهرة، 1431هـ–2010م، ص 198.

[31]– المرجع السابق، ص 198– .199.

وإذا تَعَرّقَتِ الجَلاَئِفُ مَالَهُ *** خُلِطَتْ صَحِيحَتُنَا إلى جَرْبَائِهِ

وتقولُ: من استُوصِلَ بالجَلائِفِ استَوصِلَ بالخَلائِفِ. وجَلف الطّينُ من رأسِ الدّنّ. وأَطِلْ جَلْفَةَ قَلَمِكَ وهي من مبراه إلى سِنّه، سُمِيت بالمرّة منَ الجَلْفِ. يُقَالُ: جَلَفْتُهُ بالسيفِ جَلْفَة إذا بَضَعْتَ مِن لحمِهِ بضْعَةً.[32] وفي جذر(شفر): <<**ومن المجاز**: ما بالدار شُفْرٌ وشَفْرٌ>> وما رأيت منهم شُفْراً وشَفْراً، أي: أحداً، وهو من شُفرِ العينِ وشَفرها أي ذا شُفْرٍ وشَفْرٍ كقولهم: ما بها عينٌ تطرِفُ؛ قال توبة بن مُضرّس: [من الطويل].

وَسائِلَةٍ عن تَوْبَةَ بنِ مُضَرّسٍ **** وَهانَ عَلَيها ما أَصَابَ بهِ الدّهْرُ

رَأَتْ إخوَتي بعد التّوَافي تَفَرّقُوا **** فلَمْ يَبْقَ إلّا واحداً مِنْهُمُ شَفْرُ

وجاء في "أساس البلاغة" في شرح جذر "**رضع**" مجازا لا حقيقة، أن الناس يرضعون الدنيا ويذمونها كناية عن عدم حمدهم لله، أو كناية عن عدم قناعتهم، قال: «ما تركت السّنةُ شَفْراً ولا ظُفْراً أي: شيئا، وقد فتحوا شفراً وقالوا ظُفرا" **ومن المجاز**: فلان يرضع الدّنيا ويذمّهَا».[33] ويعد معجم الزمخشري من المعاجم الجديرة بالذكر في مجال الحديث عن معاجم المعاني والمعاجم السياقية، لأنه لا يعالج معنى الجذر المعجمي، بالطريقة المعجمية المعلومة، من بحث في أصل معنى جذر الكلمة، بقدر ما يهتم بمعناه المجازي الذي لا يتحدد إلا بناءً على سياق المعنى الذي جاء فيه وما يحيط به من ظروف مقامية، وتأثيرات فاعلة بين المتكلم والمتلقي، وقد جاء المعجم مرتبا في البحث في أصول معاني الكلمات بحسب أوائل الألفاظ مردودة إلى أصولها على نظام الأبجدية الألفبائي: « والمعجم مرتب بحسب أوائل الألفاظ – مجردة من الزوائد ومردودة لأصولها كالعادة على نظام الأبجدية المعروف لنا».[34]

خاتمة:

وصفوة القول؛ فإن أساس البلاغة معجم له خصائصه الفنية التي وسمته بسمة التميز وطبعت على جبينه علامة التفرد في المنهج؛ فقد تفرد المعجم بكونه المعجم العربي الأول الذي كان صاحبه سبّاقا إلى التنبه إلى معنى اللفظ من خلال السّياق الكلامي الخارج عن إطار المعجم بما يعتريه من استعمالات داخل التراكيب المليحة، والتعابير الحسان وما جري به البيان على ألسنة

[32]– الزمخشري، أساس البلاغة كتاب (الجيم) مادة (جلف)، ص 134.

[33]– نفسه كتاب (الراء) مادة (رضع) ص317.

[34]– حسن ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، 1976م، ص133.

البلغاء، عبر أساليب تتجاوز التصريح إلى التلميح وتفضل التكنية على التوضيح وليس من سبيل إلى ذلك أحسن من المجاز والاستعارة، فخرج على مجازات العرب العاربة في شتى فنون القول من شعر وأمثال وحكم وما جاء منها في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف وحشدها لتكون شواهد منتقاة يعزز بها المادة العلمية لمعجمه، وقد خرجت بعدد من الملاحظات في منهجه يمكن تعداداها فيما يلي:

1- ترتيب الكلمات حسب الحروف الأبجدية .

2- عدم الاكتفاء بإيراد الألفاظ المفردة، بل إيراد الجمل والعبارات والتراكيب.

3- الإكثار من الاستشهاد بالقران الكريم والحديث الشريف والشعر والأمثال والحكم.

4- توضيح المعاني الحقيقية والمجازية للكلمة.

5- معالجة بعض القضايا اللغوية والنحوية والصرفية، على قلتها.

6- الإشارة إلى بعض الألفاظ المولدة أو العامية.و العناية بتدوين فصيح اللغات».[35]

كانت هذه أهم القضايا اللغوية في أسلوب الاستعارة ووظيفتها في فصيح الكلام المأخوذ من أمثلة معجم "أساس البلاغة" الذي حاولنا في هذه الدراسة أن تبين بضا من جوانب التأليف التي اختص بها المعجم، وحاولنا الوقوف على أهم الركائز العملية والميكانيزمات التي يمكن اعتبارها من أهم الدعائم الآلية التي اعتمدها في بناء نظريته اللغوية في الاستعمال المجازي للغة التي تخرج بالجذر عن معناه الحقيقي إلى معان أخر يحددها الاستعمال السّياقي، ولعل أهمها :

- التركيز على المجاز واعتبره أقوى دلالة من الحقيقة.
- كما ركز على الجانب الاستعمالي للغة.
- التركيز على الجانب التداولي للغة إلى اللغة المحكية وأعاد النظر في طبيعة العلاقة بين اللفظ والمعنى الحقيقي والمجاز في توليد الدلالات
- التوجه صوب الجانب اللسانيات الاجتماعية وجمع بين اللغة والمجتمع وثقافة الأدب
- العناية بالسياق الكلامي عناية خاصة وجعله مدخلا لفهم دلالة اللفظ اعتمد المقام الكلامي في تخريج الدلالات وإنتاج المعاني واعتنى باللغة في جانبها التداولي وانتقى من لغة العرب أجمل التعابير ومليح الأساليب
- الاهتمام بجماليات الأسلوب و بحث عن مواطن الاستعارة

[35]- فتح الله سليمان، دراسات في علم اللغة، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2008م، ص72-73

كانت تلك أهم النقاط التي وقفت عليها في هذه الورقة البحثية التي أأمل أن تكون في المستوى المطلوب، والله ولي التوفيق.

- قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش.

أولا/ الكتب

1. أحمد طاهر حسنين، النظرية اللغوية عند العرب، الأصوات، الصرف، المعاجم، النحو، ط1، الناشر مكتبة الآداب، القاهرة، 1431هـ-2010م.
2. بشار بن برد، ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، المجلد الثاني، الجزء الرابع، الط1، دار سحنون للنشر والتوزيع- دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، تونس- 1429 هـ/2008م.
3. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها،دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994.
4. حسن ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية للطابعة والنشر بيروت، 1976م.
5. حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ج 2، ط2، دار ملتزمة الطبع والنشر ¯مكتبة مصر¯ دار مصر للطباعة، القاهرة، 1968م.
6. ابن رشيق، الحسن القيرواني (المتوفى سنة 456هـ) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج1، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب، العلمية بيروت، 1422هـ -2001 م،
7. الزمخشري، الإمام جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة،لمطبعة الأصلية، صيدا-بيروت 1430هـ -2009 م.
8. فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، الإعادة الخامسة 1427هـ -2006 م.
9. فتح الله سليمان، دراسات في علم اللغة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2008م.
10. عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، ط1، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2009م.
11. علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ط7. دار ملتزم الطبع والنشر، الفجالة – القاهرة،

12. عمر أوكان، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب – الدار البيضاء، بيروت – لبنان.2001م

13. -عيسى برهومة، ذاكرة المعنى: دراسة في المعاجم العربية، المؤسسة العربية للدراسات، ط1، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن–عمّان، 2005 م.

14. محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي – ليبيا والطباعة للنشر والتوزيع طرابلس– بيروت لبنان، 2004م.

15. منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص (ترجمة)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت–الدار البيضاء بالمغرب2004م.

16. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الإحياء الكتب العربية، عيسى باب الحلبي وشركاه، القاهرة، 1371هـ –1952م.

- **ثانيا: المقالات**

- حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب "أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءه)": الفلسفة والآداب، تونس، منشورات الجامعة التونسية، السلسة السادسة، مجلد (01) عدد: 21– 1980م.

- **ثالثا: المراجع الأجنبية**

1- Michel Le Guern, Sémantique de la métaphore et de la métonymie, Librairie larousse.2001.

2- Georges Mounin, Dictionnaire de la linguistique, Quadrige/PUF, 4e édition : 2004.

3- Dictionnaire Hachette, Hachette livre,Paris: 2010.